

## المبحث السادس: صور من تطبيق الصبر في الدعوة

### المطلب الأول: صور من صبر النبي ﷺ في دعوته

للنبي محمد ﷺ مواقف في الدعوة إلى الله تدل على صبره، ورغبته فيما عند الله تعالى، ومن المعلوم أنه صبر في جميع أحواله ابتداءً بدعوته السرية حتى لَقِيَ ربه صابراً محتسباً، وصور صبره في دعوته كثيرة جداً لا تحصر، ولكنني أقتصر على إيراد الصور التطبيقية الآتية:

#### الصورة الأولى: صعوده على الصفا ونداؤه العام:

أمر الله نبيه بإنذار عشيرته الأقربين، فقال ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ \* وَاخْفُضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقام رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته، فوقف مواقف حكيمة أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبيّن بها حكمة النبي ﷺ وشجاعته، وصبره وإخلاصه لله رب العالمين، وقمع بها الشرك وأهله، وأذلم إلى يوم الدين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكتتم مصدقي؟ قالو:

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٦.

نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: «أنقذوا أنفسكم من النار...»، ثم قال: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبُلُّها ببلالها»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الصيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح صلى الله عليه وسلم لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا صلى الله عليه وسلم قومه - في هذا الموقف العظيم - إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغّبهم في الجنة، وحذّرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يضرب لصرخاتهم حساباً؛ لأنه مرسل من الله صلى الله عليه وسلم، ولا بدّ أن يُبلِّغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ٨/ ٥٠١، برقم ٤٧٧٠، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله: وأنذر عشيرتك الأقربين، ١/ ١٩٤، برقم ٢٠٨، والآيتان من سورة المسد: ١-٢.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ٨/ ٥٠١، برقم ٤٧٧١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، ١/ ١٩٢، برقم ٢٠٤، واللفظ له.

خالفه أو ردّ دعوته جميع العالمين، وقد فعل ﷺ<sup>(١)</sup>.

استمرّ ﷺ يدعو إلى الله - تعالى - ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يردّه عن ذلك رادّ، ولا يصدّه عن ذلك صادّ، استمر يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حرّ وعبيد، وقويّ وضعيف، وغنيّ وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

وقد تسلط عليه وعلى من اتبعه الأشدّاء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك لم يفتر محمد ﷺ في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع بالمسلمين في بيوتهم على شكل أسر بعيدة عن أعين قريش، وتتكوّن هذه الأسر من الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله ﷺ الأمل بعد الله - تعالى - في حمل العبء والمهامّ الجسيمة لنشر الإسلام، وبذلك تكوّنت طبقة خاصة من المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة وشوق واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص ٧٨، وفقه السيرة، لمحمد الغزالي، ص ١٠١، ١٠٢، والسيرة النبوية،

دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص ٤٧.

(٢) البداية والنهاية، ٣/ ٤٠.

وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد ﷺ أن يؤدّي الأمانة، ويبلغ الرسالة، وينصح الأمة، ويجاهد في الله حقّ جهاده، ويرسم لنا طريقاً نسير عليه في دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بحكمه ﷺ.

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها وربّأها، فلبّت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وأثناء هذه الدعوة يركّز على من يجد عندهم الإمكانيات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكوّن من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة<sup>(١)</sup>.

ومع هذا الجهد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله ﷺ إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلّص بالاغتيال من أفراد بأعيانهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة بن أبي معيط، أو أبي بن خلف، أو أمية بن خلف...، وهؤلاء هم من أشدّ الناس أذية لرسول الله ﷺ، فلم يأمر أحداً من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يؤدي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كردّ فعل من أعداء الإسلام الذين يتكالبون على حربه، والنبي ﷺ لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

---

(١) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٦٥/٢.

وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها ﷺ<sup>(١)</sup>.

### الصورة الثانية: اضطهاد سادات قريش:

رأت قريش أن تجرب أسلوباً آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد ﷺ تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبةً هذا التأييد والنصر لمحمد ﷺ، وتطلب منه أن يكف عنها محمداً ودينه<sup>(٢)</sup>.

جاءت سادات قريش إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آهتنا، حتى نكفه عنا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، والذي كانوا قالوا له، فأبقِ عليّ وعلى

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٦٥/٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٤١/٣، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١١٢.

نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي ﷺ على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويئس من موافقة النبي ﷺ لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة  
حتى أوسد في التراب دفيناً  
وأبشر وقرّ بذاك منك عيوناً<sup>(١)</sup>  
الصورة الثالثة: مع عتبة:

بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تنقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفرعهم وزادهم هولاً وفزعاً تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله ﷺ، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أموراً لعله يقبل بعضها فيعطى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث قد علمت من السطة<sup>(٢)</sup> في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٢٧٨/١، وانظر: البداية والنهاية، ٤٢/٣، وفقه السيرة للغزالي، ص ١١٤، والرحيق المختوم، ص ٩٤.

(٢) يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة ((سطا))، ص ٢٧٦، والقاموس المحيط، باب =

أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به أهلتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ: «قل أبا الوليد أسمع»، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبّ، وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه... حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاستمع مني»، قال: أفعل، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* حم \* تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ \* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «قد

الواو، فصل السين، ص ١٦٧٠.

(١) سورة فصلت، الآيات: ١-٥.

سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾<sup>(٢)</sup>، فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول: أنشدك الله والرحم، وطلب منه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعاً كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أن تترك محمداً وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك<sup>(٣)</sup>.

لقد تحير رسول الله ﷺ بفضل الله - تعالى -، ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي، ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمداً ﷺ يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمد ﷺ قبل غيره مكلف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله ﷻ يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمداً ﷺ أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً، لقد مكّنه الله من هذا كله، ففعل عنه وترفع أن يمدّ يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته، مخلص لربه، ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرج هذه القصة ابن إسحاق، ١/٣١٣ من سيرة ابن هشام، قال الألباني: وإسناده حسن إن شاء الله. انظر: فقه السيرة للغزالي، ص ١١٣، وتفسير ابن كثير، ٤/٦١، والبداية والنهاية، ٣/٦٢، والرحيق المختوم، ص ١٠٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ٣/٦٢، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص ١٥٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١١٤، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٠٢، وتفسير ابن كثير، ٤/٦٢.

(٤) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١١٣.

وهذا موقف من أعظم مواقف الصبر والحكمة التي أوتيها النبي ﷺ، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالا، ولا جاهاً، ولا مُلكاً، ولا نكاحاً، من أجل أن يتخلّى عن دعوته، وقد اختار الكلام المناسب في الموضوع المناسب، وهذا هو عين الحكمة.

### الصورة الرابعة: مع أبي جهل:

قرّر المشركون ألا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ﷺ ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهر النبي ﷺ بدعوته إلى الله، وبين أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعدّ المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباححت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبثّ الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون الله عاماً! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!

واتّهموا النبيّ ﷺ بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ﷺ ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره<sup>(١)</sup>.

لقد نال المشركون من النبي ﷺ ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا

(١) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١٠٦، والرحيق المختوم، ص ٨٠، ٨٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/ ٨٥، ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٤، وهذا الحبيب يا محب، ص ١١٠.

أبو جهل يعتدي على النبي ﷺ ليعفّر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، وردّ كيد أبي جهل في نحره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللوات والعزى، لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأَنَّ على رقبته، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطانٌ على رقبته، قال: فما فجئهم<sup>(١)</sup> منه إلا وهو ينكص على عقبه<sup>(٢)</sup>، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنذاً من نار، وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضواً عضواً». قال: فأنزل الله عز وجل: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» إلى آخر السورة<sup>(٣)</sup>.

وقد عصم الله النبي ﷺ من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله - تعالى -، فضحى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

### الصورة الخامسة: وضع السّلا على ظهره ﷺ:

ومما أصيب به محمد ﷺ من الأذى ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد

(١) ويقال أيضاً: فجأهم، أي بغتهم. انظر: شرح النووي، ١٧/ ١٤٠.

(٢) يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق، ٧/ ١٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» ٤/ ٢١٥٤، برقم

٢٧٩٧. وانظر: شرح النووي، ١٧/ ١٤٠.

نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا<sup>(١)</sup> جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم<sup>(٢)</sup> فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر<sup>(٣)</sup>.

### الصورة السادسة: مع عقبة

ومن أشد ما صنع به المشركون ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن

(١) السلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الأدمية: المشيمة.

انظر: شرح النووي، ١٢/١٥١.

(٢) هو عقبة بن أبي معيط، كما صرح في رواية لمسلم في صحيحه، ٣/١٤١٩.

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة لم تفسد عليه

صلاته، ١/٣٤٩، برقم ٢٤٠، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى

المشركين والمنافقين، ٢/١٤١٨، برقم ١٧٩٤.

عروة بن الزبير رضي الله عنه، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (١).

وقد اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، [ولقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [ما دون عظامه من لحم أو عصب]، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه،

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ٧/ ١٦٥، برقم ٣٨٥، وكتاب التفسير، سورة المؤمن، ٨/ ٥٥٣، باب، برقم ٤٨١٥، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»، ٧/ ٢٢، برقم ٣٦٧٨. واللفظ ملفق من كتاب المناقب وكتاب التفسير.

ولكنكم تستعجلون»<sup>(١)</sup>.

وهكذا اشتدّ أذى قريش على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافات ووثنياتها.

الصورة السابعة: مع زوجة أبي لهب:

لقي النبي ﷺ أشدّ الأذى، ووصل الأمر إلى تغيير اسمه ﷺ احتقاراً له ولدينه، وحبساً وبُغضاً له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراحتهم للنبي ﷺ لا يُسمّونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مُذَمَّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره بحمد الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

قال النبي ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد»<sup>(٣)</sup>.  
والنبي ﷺ له خمسة أسماء ليس منها مُذَمَّم<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦١٩، برقم ٣٦١٢، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ٧/١٦٤، برقم ٣٨٥٢، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ١٢/٣١٥، برقم ٦٩٤٣، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعقوفين من مناقب الأنصار.

(٢) انظر: فتح الباري، ٦/٥٥٨.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ٦/٥٥٤، برقم ٣٥٣٣.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ٦/٥٥٤، برقم ٣٥٣٢.

جاءت أم جميل زوجة أبي لهب - حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن - إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا<sup>(١)</sup>

استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله ﷺ وبأصحابه الذين أسلموا وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألستهم بالسوء، ولما رأى رسول الله ﷺ ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب - فقد مات منهم من مات، وعُذِّب من عُذِّب حتى عمي وهو تحت العذاب - فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان ؓ، ذهبوا فوفَّق الله لهم ساعة ووصلهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشاً قد كفّوا عن النبي ﷺ فرجعوا إلى مكة من الحبشة،

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ١/٣٧٨، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٥٢٣.

وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشاً أشد ما كانوا عداوة لرسول الله ﷺ فدخل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود رضي الله عنه، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار - كابن مسعود - أو مستخفياً، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسع عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحاب النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله ﷺ عام خيبر<sup>(١)</sup>.

### الصورة الثامنة: حبسه ﷺ في الشعب:

ولما رأت قريش انتشار الإسلام، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبد المطلب، وبني عبد مناف، وأن لا يبائعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ٣/٢٣، ٣٦، ٣٨، والرحيق المختوم، ص ٨٩، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٢٠، وسيرة ابن هشام، ١/٣٤٣، والبداية والنهاية، ٣/٦٦، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/٩٨، ١٠٩، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص ١٨٣.

بذلك صحيفة وعلّقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهراً لقريش على رسول الله ﷺ وعلى بني هاشم، وبني عبد المطلب.

وحسب رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم الطعام والماء نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله ﷻ، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن محمداً قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتن عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفراً إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup>.

ولما نُقِضَت الصحيفة وافق موت أبي طالب موت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجروا عليه فكاشفوه بالأذى، فازدادوا غمّاً على غمّ حتى يئس منهم، وخرج إلى

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/٣٠، وسيرة ابن هشام، ١/٣٧١، البداية والنهاية، ٣/٦٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر، ٢/١٠٩، ١٢٧، ١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص ١٢٦، ١٣٧، والرحيق المختوم، ص ١١٢.

الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه<sup>(١)</sup>.

### الصورة التاسعة: مع أهل الطائف:

في شوال، من السنة العاشرة بعد النبوة، خرج النبي ﷺ إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مرَّ على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم يُجِبْه واحدة منها.

عندما وصل إلى الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه رداً قبيحاً، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفِّين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقبيه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة ﷺ يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة محزوناً، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/ ٣١، والرحيق المختوم، ص ١١٣.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٣/ ٣١، والرحيق المختوم، ص ١٢٢، وهذا الحبيب يا محبِّ، ص ١٣٢، والبداية

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال<sup>(١)</sup>، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب<sup>(٢)</sup>، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني: فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت<sup>(٣)</sup>؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين». فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله ﷺ تتجلى شخصيته الفذة،

والنهاية، ٣/ ١٣٥.

(١) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح، ٦/ ٣١٥.

(٢) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح، ٦/ ٣١٥.

(٣) استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري، ٦/ ٣١٦.

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ٦/ ٣١٢، برقم ٣٢٣١، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ٣/ ١٤٢٠، برقم ١٧٩٥، وما بين المعقوفين من البخاري دون مسلم.

وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمده الله به.

وفي ذلك بيان شفقتة على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. فصلوات الله وسلامه عليه<sup>(٣)</sup>.

وأقام ﷺ بنخلة أياماً، وصمّم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام، وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجدّ وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فرّوي عنه<sup>(٤)</sup> أنه قال: «يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه».

ثم سار حتى وصل إلى مكة فأرسل رجل من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المُطعمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محققون به بالسلاح

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) انظر: البخاري مع الفتح، ٣١٦/٦، والرحيق المختوم، ص ١٢٤.

(٤) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣٣/٣.

حتى دخل بيته<sup>(١)</sup>.

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي ﷺ في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته، وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبحثَ عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في الميدان الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ كان أستاذاً في الحكمة، وذلك؛ لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء من قدمي النبي ﷺ - وهو النبي الكريم - أكبر مثل لما يتحملة الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الأخشبين على أهل مكة أكبر مثل لما يتحملة الداعية في صبره على من ردّ دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فربما يُخرج الله من أصلاهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.

ومن حكمته ﷺ أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المُطعم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/٣٣، وسيرة ابن هشام، ٢/٢٨، والبداية والنهاية، ٣/١٣٧، والرحيق المختوم، ص ١٢٥.

(٢) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص ٥٨، وهذا الحبيب يا محبّ، ص ١٣٤.

## الصورة العاشرة: مع أهل الأسواق والمواسم:

بأمر النبي ﷺ دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر، ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله - تعالى -، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة يعضة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

ولم يكتف رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً.

وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو لهب<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد، ٤/٣٤١، ٣/٤٩٢، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان، برقم ١٦٨٣ (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، والحاكم في المستدرک بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: صحيح على شرط الشيخين، رواه كلهم ثقات أثبات، ١/١٥.

وقد كانت الأوس والخزرج يحجّون كما تحجّ العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه، مر بعقبة منى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج في السنة الثانية عشرة من النبوة، وكان من بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء<sup>(٣)</sup>.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من

(١) انظر: زاد المعاد، ٤٣/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٣٦/٢، والرحيق المختوم، ص ١٢٩، والبداية والنهاية، ١٤٩/٣، وابن هشام، ٣١/٢.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٣٧/٢، وهذا الحبيب يا محب، ١٤٥/٢، والرحيق المختوم، ص ١٣٢، وزاد المعاد، ٤٥/٣، وسيرة ابن هشام، ٣٨/٢، والبداية والنهاية، ١٤٩/٣.

(٣) انظر: زاد المعاد، ٤٦/٣، والرحيق المختوم، ص ١٣٩، والتاريخ الإسلامي، ١٣٩/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٤٥، وسيرة ابن هشام، ٣٨/٢.

أصحابه: «تعالوا بايعوني على أن لا تشرکوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه» فبايعناه على ذلك<sup>(١)</sup>.

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء مصعب بن عمير ﷺ ليعلم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك ﷺ أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي ﷺ عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله ﷺ، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: «تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة»<sup>(٢)</sup>، فقاموا إليه

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ في مكة، ٢١٩/٧، برقم ٣٨٩٢، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليان، ١/٦٤، برقم ١٨.

(٢) أحمد في المسند، ٣/٣٢٢، والبيهقي، ٩/٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٢/٦٢٤، وحسن إسناده للحافظ في الفتح، ٧/١١٧.

فبايعوه.

وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله ﷺ اثني عشر زعيماً، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطن للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيراً، وثبت لقريش أن النبي ﷺ قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في السادس والعشرين من شهر صفر في السنة الرابعة عشرة من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ، فأوحى الله إلى النبي ﷺ بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى علي من صير الباب<sup>(٢)</sup>، وخرج رسول الله ﷺ، ومرّ بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة<sup>(٣)</sup>.

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله ﷺ دليل واضح على حكمة النبي ﷺ، وعلى صبره، وشجاعته، وأنه ﷺ حينما علم بأن قريشاً قد

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٤٩/٢، والبداية والنهاية، ١٥٨/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر،

١٤٢/٢، والرحيق المختوم، ص ١٤٣.

(٢) صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة «صار» ١/٥٣١.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، ٩٥/٢، والبداية والنهاية، ١٧٥/٣، وزاد المعاد، ٥٤/٣، والسيرة النبوية

دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص ٦١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٤٨/٢، وهذا

الحبيب يا محبّ، ص ١٥٦.

طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ فيه قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصره الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تأمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبناً، ولا فراراً من الموت؛ ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم<sup>(١)</sup>.

### الصورة الحادية عشرة: جرح وجهه وكسرت ربايعته ﷺ :

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن جرح النبي ﷺ يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي ﷺ وكُسِرَت ربايعته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم، وعلي رضي الله عنه يمسك، فلما رأت الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم<sup>(٢)</sup>.

وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، هو نبي الله ﷺ ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأي أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص ٦٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة، ٩٦/٦، برقم ٢٩١١، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ١٤١٦/٣، برقم ١٧٩٠.

نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وعلى رأسهم محمد ﷺ قد كانوا<sup>(٢)</sup> على جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعمو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنائتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون<sup>(٣)</sup>، قال النبي ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله ﷺ»، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله ﷻ»<sup>(٤)</sup>.

وفي إصابة النبي ﷺ يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي ﷺ هو القدوة قد أؤذي وصبر<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو البيان، ٥١٤/٦، برقم ٣٤٧٧، وكتاب استتابة المرتدين، باب حدثنا عمر بن حفص، ٢٨٢/١٢، برقم ٦٩٢٩، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب عزوة أحد، ١٤١٧/٣، برقم ١٧٩٢، وانظر: شرحه في الفتح، ٥٢١/٦، وشرح النووي لصحيح مسلم، ١٤٨/١٢.

(٢) انظر: شرح النووي لمسلم، ١٤٨/١٢.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٥٠/١٢ بتصرف.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من جراح يوم أحد، ٣٧٢/٧، برقم ٤٠٧٣، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ، ١٤١٧/٣، برقم ١٧٩٣.

(٥) السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١١٦.

### المطلب الثاني: صور من شجاعته وإقدامه ﷺ

لا شك أن الشجاعة صبر في ساحات القتال والوغي، وفيها ضبط النفس عن مثيرات الخوف حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة ويقبح فيها الجبن ويكون شراً، ومن هذه الصور يجد الإنسان أن النبي ﷺ خير قدوة وخير مثال في ذلك؛ ولهذا جاهد في سبيل الله: بالقلب، واللسان، والسيف، والسنان، والدعوة والبيان، فقد أرسل ستاً وخمسين سرية وقاد بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وقاتل في تسع من غزواته، ومن ذلك الصور الآتية<sup>(١)</sup>:

#### الصورة الأولى: شجاعته ﷺ في معركة بدر الكبرى:

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه ﷺ استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه ﷺ يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شرط له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد ﷺ أن يستشيرهم، فجمعهم ﷺ واستشارهم، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المقداد فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/٤٣٦، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للمؤلف، ص ١٧٢.

استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعينهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي ﷺ يعينهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تحشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاطعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنَّ معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسرّ بما سمع، ونشّطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»<sup>(١)</sup>.

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه - تبارك وتعالى - لأنه

(١) سبقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام، ٢/٢٥٣، وفتح الباري، ٧/٢٨٧، وزاد المعاد، ٣/١٧٣، والرحيق المختوم، ص ٢٠٠، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، ٧/٢٨٧، برقم ٣٩٥٢، وكتاب التفسير، ٨/٢٧٣، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ٣/١٤٠٣، برقم ١٧٧٩، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/١٩٤.

قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله ﷺ مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله ﷻ.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه<sup>(١)</sup>: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فأمدّه الله بالملائكة<sup>(٣)</sup>.

وقد خرج رسول الله ﷺ من العريش وهو يقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقاتل ﷺ في المعركة، وكان من أشدّ الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر رضي الله عنه كما كانا في العريش يُجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا

(١) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي، ١٢/٨٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ١٣٨٣/٣، برقم ١٧٦٣، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾، ٧/٢٨٧، برقم ٣٩٥٣، وانظر: الرحيق المختوم، ص ٢٠٨.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٥، والحديث في البخاري مع الفتح، ٧/٢٨٧.

فحرضاً، وحثاً على القتال، وقاتلاً بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين<sup>(١)</sup>.  
 وكان أشجع الناس الرسول ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»<sup>(٢)</sup>.

وعنه رضي الله عنه قال: «كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه»<sup>(٣)</sup>.

### الصورة الثانية: شجاعته ﷺ في غزوة أحد:

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره على أذى قومه ما فعله ﷺ في غزوة أحد، فقد كان يقاتل قتالاً عظيماً؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل فكّر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خالياً قد خلا من الرماة فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخراهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولّى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة

(١) انظر: البداية والنهاية، ٣/ ٢٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ١/ ٨٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ١٤٣.

(٣) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ١٤٣، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية، ٣/ ٢٧٩، إلى النسائي.

دفاعاً عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكان حول النبي ﷺ رجالان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهقوه، وقربوا منه: «(من يردّهم عنّا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة)»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ، ثم رهقوه أيضاً فقال: «(من يردّهم عنّا وله الجنة)»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «(ما أنصفنا أصحابنا)»<sup>(٢)</sup>.

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي ﷺ إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله ﷺ أبي بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/١٩٦، ١٩٩، والرحيق المختوم، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ٣/١٤١٥، برقم ١٧٨٩.

(٣) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣/١٩٩، والرحيق المختوم، ص ٢٦٣، وروى قصة قتل النبي ﷺ =

### الصورة الثالثة: شجاعته ﷺ في معركة حنين

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين<sup>(١)</sup>، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار... ثم قال: «أي عباس، ناد أصحاب السمرة» فقال عباس - وكان رجلاً صَيِّتاً -: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطَفْتَهُمْ حين سمعوا صوتي عَطَفَةَ البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتلوا والكفار... فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال ﷺ: «الآن حمي الوطيس»<sup>(٢)</sup>.

وظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال<sup>(٣)</sup>.

وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمارة، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولَّى رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه<sup>(٤)</sup> وأخفاؤهم<sup>(٥)</sup> حسراً<sup>(٦)</sup> ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة

لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهري عن سعيد بن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٤/٣٢، وكلاهما مرسل، والطبري، ٢/٦٧، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ٢٢٦.

(١) كان مع النبي ﷺ في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد، ٣/٤٦٨.

(٢) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه، ٣/١٣٩٨، برقم ١٧٧٥.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، ص ٤٠١، وهذا الحبيب يا محب، ص ٤٠٨.

(٤) جمع شباب. شرح النووي لمسلم، ١٢/١١٧.

(٥) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم، ١٢/١١٧.

(٦) حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسر به بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم، ١٢/١١٧.

لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقاً<sup>(١)</sup>، ما يكادون يخطئون، فأنكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزل نصرك<sup>(٢)</sup>

قال البراء: كُنَّا والله إذا احمرَّ البأس<sup>(٣)</sup> نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله ﷺ منهزماً<sup>(٥)</sup>، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأى ابن الأكوح فزعاً». فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»<sup>(٦)</sup>، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولّوا مدبرين،

(١) رشقاً: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهم التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي، ١١٨/١٢.

(٢) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات، ١٤٠٠/٣، برقم ١٧٧٦، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر، ١٥٠/٦، برقم ٢٩٢٩، ٢٧/٨، ٢٨، برقم ٤٣١٧.

(٣) إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي، ١٢١/١٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠١/٣، برقم ١٧٧٦.

(٥) قال العلماء: قوله: «منهزماً» حال من ابن الأكوح، وليس النبي ﷺ. انظر: شرح النووي، ١٢٢/١٢.

(٦) شاهت الوجوه، أي: قبيحت. انظر: شرح النووي، ١٢٢/١٢.

فهزمهم الله، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين<sup>(١)</sup>.

وقد قال العلماء: إن ركوب النبي ﷺ البغلة في موضع الحرب، وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات؛ ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه ﷺ وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فرّ الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة رضوان الله عليهم بشجاعته ﷺ في جميع المواطن<sup>(٢)</sup>.

#### الصورة الرابعة: شجاعته ﷺ في الحماية لأصحابه:

روى البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: ((لم تراعوا، لم تراعوا))، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: ((لقد وجدته بحراً، أو إنه لبحر))<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ٣/١٤٠٢، برقم ١٧٧٧.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم، ١٢/١١٤.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ١٠/٤٥٥،

برقم ٢٩٠٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، ٤/١٨٠٢،

برقم ٢٣٠٧.

وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ﷺ، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال<sup>(١)</sup>.

قال البراء رضي الله عنه: «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أنس في الحديث السابق: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس...»<sup>(٣)</sup>.

#### الصورة الخامسة: شجاعته ﷺ العقلية:

كانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهدٍ واحدٍ؛ فإنه يكفي عن ألف شاهدٍ ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» إلى باسمك اللهم، وعن كلمة «محمد رسول الله» إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظاً، وبلغ الغضب حدًا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

(١) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي ﷺ في مسند أحمد ١/ ٨٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ١٤٣.

(٢) أخرجه مسلم، ٣/ ١٤٠١، برقم ١٧٧٦، وتقدم تخريجه.

(٣) انظر: البخاري، برقم ٢٩٠٨، ومسلم، برقم ٢٣٠٧، وتقدم تخريجه.

فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بُعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضره بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها<sup>(١)</sup>.

وجميع ما تقدم من نماذج من شجاعته ﷺ وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته ﷺ بالاستقصاء لَكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله ﷻ أن يتخذوا الرسول ﷺ قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: صور من صبر الصحابة ﷺ

الصحابة ﷺ لهم مواقف كثيرة جداً لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنهم باعوا أنفسهم، وأموالهم وحياتهم لله، ابتغاء مرضاته، وخوفاً من عقابه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة.

ومن درس حياتهم، ونظر إلى تطبيقاتهم للإسلام قولاً، وعملاً، واعتقاداً ازداد إيماناً، وأحبهم؛ فيحصل له بذلك محبة الله تعالى.

(١) انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح، ٥/٣٢٩، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٨٠، ٤١٨١، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم ١٨٧٣، وشرح الوثيقة في الفتح، ٥/٣٣٣-٣٥٢، ومسند أحمد، ٤/٣٢٨-٣٣١، وانظر: هذا الحبيب يا محب، ص ٥٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

### الصورة الأولى: صبر بلال:

بلال بن رباح رضي الله عنه كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله - تعالى - وقد عذبه أشد العذاب، ومن ذلك أن أمية كان يُجْرَجُ بلالاً إذا حميت الشمس في الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ، فمر به أبو بكر فاشتراه. وهذه الكلمة التي زعزعت كيان أمية بن خلف<sup>(١)</sup>.

### الصورة الثانية: صبر آل ياسر:

وهذا عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سُمَيَّة رضي الله عنها يُعذَّبون أشد العذاب من أجل إيمانهم بالله - تعالى -، فلم يردَّهم ذلك العذاب عن دينهم؛ لأنهم صدقوا مع الله فصدقهم الله - تعالى - ولهذا قيل لهم: « صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة »<sup>(٢)</sup> فرضي الله عنهم وأرضاهم<sup>(٣)</sup>.

### الصورة الثالثة: صبر صُهب:

وهذا صُهب الرومي رضي الله عنه أراد الهجرة فمنعه كفار قريش أن يهاجر بهاله، وإن أحب يتجرّد من ماله كلّ ويدفعه إليهم تركوه وما أراد،

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ١/١٦٥، وسيرة ابن هشام، ١/٣٤٠، وسير أعلام النبلاء، ١/٣٧.

(٢) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٣/٣٨٨، وانظر: مجمع الزوائد، ٩/٢٩٣، وقال: «رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم»، وانظر: الإصابة، ٢/٥١٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ١/٤٠٦، والإصابة، ٢/٥١٢، وسيرة ابن هشام، ١/٣٤٢.

فأعطاهم ماله ونجا بدينه مهاجراً إلى الله ورسوله، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(١)</sup>، فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له: ربح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

### الصورة الرابعة: صبر أبي سلمة وزوجته:

وهذا عبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة وزوجته أم سلمة رضي الله عنهما يصبران على البلاء العظيم ويقفان الموقف الحكيم الذي يدل على صدقهما مع الله<sup>(٣)</sup>.

كان أبو سلمة أول من هاجر من مكة إلى المدينة، قبل العقبة الثانية بسنة تقريباً.

بعد أن رجع أبو سلمة وزوجته أم سلمة من الهجرة إلى الحبشة آذته قريش، وعلم بإسلام من أسلم من الأنصار، فقرر الهجرة إلى المدينة - فراراً بدينه - فحمل زوجته أم سلمة، وابنها سلمة وقاد بهما راحلته وخرج متجهاً إلى المدينة وقبل أن يخرج من مكة لحقه رجال من بني مخزوم فقالوا له: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيتك صاحبتك هذه علام

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ١٧-٢٦، والإصابة، ٢/ ١٩٥.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ١/ ١٥٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٣٣٥، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/ ٩٠.

نترك تسيرها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوا الراحلة وعليها أم سلمة وابنه سلمة، وغضب لذلك رجال من بني عبد الأسد وقالوا: والله لا نترك ابنا عندها إذا نزعتموها من بني صاحبنا فتجاذب بنو مخزوم وبنو عبد الأسد الطفل حتى خُلعت يده، وأخذه بنو عبد الأسد وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم، وانطلق أبو سلمة إلى المدينة هارباً بدينه. قالت أم سلمة: ففرقوا بيني وبين زوجي وبين ابني، فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، وذلك سنة أو قريباً منها حتى مرّ بي رجل من بني عمي - أحد بني المغيرة - فرأى ما بي فرحماني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها، وبينها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقّي بزوجك إن شئت، قالت: وردّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فارتحلت ببعيري ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله<sup>(١)</sup>.

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف وما أحكمه: فقد ترك أبو سلمة زوجته وابنه، وماله، وهاجر بنفسه تاركاً نصفه وراءه من أجل دينه ويتجاذب بنو عبد الأسد وبنو المغيرة بن أم سلمة، ويخلعون يده وهي تنظر، وتحبس من أجل دينها، وتبكي كل يوم في الأبطح سنة أو قريباً منها، إنه موقف عظيم وبلاء كبير أسفر عن قوة الإيمان والصدق مع الله، فنسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، ورضي الله عن أبي سلمة وزوجته وأرضاهما،

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٧٧/٢، والبداية والنهاية، ١٦٩/٣، والرحيق المختوم، ص ١٥٠، وهذا الحبيب يا محبّ، ص ١٥١.

فقد جاهدنا في الله، وأوذينا في الله، وصبرنا في الله، والله المستعان.

### الصورة الخامسة: صبر عبد الله بن حذافة:

وعندما ينظر الإنسان في موقف عبد الله بن حذافة بن قيس رضي الله عنه عندما حاول ملك الروم أن يصدّه عن دينه يرى الموقف الحكيم، والرجل العظيم!

وجّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تنتصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد صلوات الله عليه طرفة عين، قال: إذا أقتلك. قال: أنت وذاك، فأمر به فُصِّلَ وقال للرملة: ارموه قريباً من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى ولم يجزع، فأنزله، وأمر بقدر فُصِّبَ فيه ماء وأُغِلِّيَ عليه حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقى فيها فإذا عظامه تلوح، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، فأمر بالقائه في القدر إن لم ينتصر، فلما ذهبوا به بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع، فقال: رُدُّوه، فقال: ما أبكاك؟ قال: قلت هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله، فتعجب الطاغية فقال له: هل لك أن تُقبَّلَ رأسي وأُخِلِّيَ عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبَّلَ رأسه، فخلَّى عنهم، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره. فقال عمر: حقُّ على كلِّ مسلم أن يُقبَّلَ رأس

عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقَبَّلَ رأسه<sup>(١)</sup>.

هذا موقف عظيم حكيم؛ فإن عبد الله ﷺ ثبت على دينه، ولم يقبل سواه، ولو أُعطي ملك كسرى ومثله معه، وملك العرب جميعاً، ثم لصدقه مع الله لم يجزع من الرّماة عندما رموه وهو مصلوب، ولم يجزع من القِدْرِ والماء المغليّ وقد رأى من يُلقى في النار من الأسرى وعظامه تلوح، ومع ذلك تمنّى أن يكون له عدد شعره من الأنفُس تعذب في الله ومن أجل الله، وعندما رأى أن المصلحة عامة لجميع الأسرى قَبَّلَ رأس الطاغية؛ لكي يخرج المسلمين من الأسر، وهذا من أعظم الحكم العظيمة. فرضي الله عن عبد الله بن حذافة وأرضاه.

#### الصورة السادسة: صبر خبيب:

ومن هذه المواقف العظيمة التي تدل على قوة الإيمان والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة، ما فعله الصحابي الجليل: خبيب بن عدي بن عامر ﷺ عندما أسرته كفار قريش وعذبتة فثبت حتى قُتِلَ شهيداً ﷺ.

قالت بعض بنات الحارث بن عامر: والله ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطفاً من عنبٍ في يده وإنه مُوثقٌ بالحديد وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٤/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢٦٩/٢.

ثم أنشأ يقول:

فلستُ أبا لي حين أقتلُ مسلماً      على أيِّ جنب كان الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يُبارك على أوصالِ شلُوٍّ ممزَع  
ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو الذي  
سن لكل مسلم قُتِلَ صبراً الصلاة<sup>(١)</sup>.

الصورة السابعة: صبر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه تعرّض أمه عليه أن يكفر بدين محمد صلى الله عليه وسلم،  
وحلفت أن لا تكلمه، ولا تأكل ولا تشرب حتى تموت فيعير بها، فيقال:  
يا قاتل أمه! وقالت له: زعمت أن الله وصابك بوالديك، وأنا أمك، وأنا  
أمرك بهذا. قال سعد: لا تفعلي يا أمّه إنني لا أدع ديني هذا لشيء. فبقيت  
ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، فلما رأى سعد بن أبي وقاص ذلك منها  
قال لها: يا أمّه، تعلمين والله لو كان لك مائة نفسٍ، فخرجت نفساً نفساً،  
ما تركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت<sup>(٢)</sup>. قال  
سعد رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ  
لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقد جعل الله

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين  
عند القتل، ١٦٦/٦، برقم ٣٠٤٥، وكتاب المغازي، باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي،  
٣٠٨/٧، برقم ٣٩٨٩، ٣٧٨/٧، ٣٨١/١٣، وانظر: سير أعلام النبلاء، ١/٢٤٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص، ٤/١٨٧٧،  
برقم ١٧٤٨، مختصراً بمعناه، وأحمد، ١/١٨١-١٨٢، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب  
ومن سورة العنكبوت، ٥/٣٤١، برقم ٣١٨٩، وانظر: سير أعلام النبلاء، ١/١٠٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٥.

سعداً مستجاب الدعوة لدعوة النبي ﷺ: « اللهم استجب لسعد إذا دعاك »<sup>(١)</sup>.

### الصورة الثامنة: صبر أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها:

ومن ذلك ما فعلته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان؛ أم المؤمنين رضي الله عنها، وذلك أن أباها قدم من مكة إلى المدينة يريد أن يزيد في الهدنة بينه وبين الرسول ﷺ، فلما دخل على بنته أم حبيبة رضي الله عنها وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر<sup>(٢)</sup>، قلت: والله لم يصبها إلا قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله، فقدّمت محبة الله ورسوله على محبة والدها المشرك ولم ترخص أن يجلس المشرك على فراش رسول الله ﷺ، فرضي الله عن أم المؤمنين؛ فإنها لم تأخذها في الله لومة لائم، وهذا من أعظم الحكم. والصحابة - رضي الله عنهم جميعاً - رجالاً ونساءً، كانت أعمالهم وحياتهم، ومماتهم لله لا يريدون، ولا يرغبون إلا ما يرضيه - تعالى - حتى ولو كان ذلك ببذل أحب الأشياء إليهم.

(١) الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ٦٤٩/٥، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٤٩٨/٣، وسنده صحيح. انظر: سير أعلام النبلاء، ١/١١١.

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٠٦/٤، وعزاه بإسناده إلى ابن سعد. وانظر أيضاً: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٣/١٣٥.

### الصورة التاسعة: صبر أنس بن النضر:

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يارسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين -، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين -، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل. قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة: من بين ضربة بسيف وطعنة برمح، ورمية بسهم وقد مثلوا به، فما عرفناه حتى عرفته أخته بنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(١)</sup>. قال فكنا نقول: نزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه<sup>(٢)</sup>.

### الصورة العاشرة: صبر عمير بن الحُمَام:

ويدل على رغبة الصحابة رضي الله عنهم فيما عند الله ما فعل عمير بن الحُمَام في بدر حينما سمع رسول الله يقول لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب الجهاد، باب قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، ٢١/٦، برقم ٢٨٠٥، ٣٥٤/٧، برقم ٤٠٤٨. وانظر: البخاري مع الفتح، ٥١٨/٨، برقم ٤٧٨٣، والبداية والنهاية، ٣١-٣٤/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧٤/١، وهذا الحبيب يا محب، ص ٢٦٩.

والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ<sup>(١)</sup>، فقال ﷺ: «ما يملكك على قولك بخ بخ؟»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه<sup>(٢)</sup> فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل من تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى بها كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل<sup>(٣)</sup>.

وهذه النماذج تدل على صبر الصحابة وحكمتهم العظيمة، وصدقهم مع الله ورغبتهم فيما عنده - سبحانه - من الثواب وزهدهم في الدنيا. والصحابة ﷺ لهم مواقف حكيمة كثيرة لا تُحصى، ولكن ما ذكرته هنا من مواقفهم ما هو إلا بعض الأمثلة اليسيرة من المواقف الحكيمة التي تدل على حكمتهم ويستفيد منها الدعوة إلى الله - تعالى -.

وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا. والله المستعان.



(١) كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير. انظر: شرح النووي، ٤٥/١٣.

(٢) أي جعبة الشباب. انظر: شرح النووي، ٤٦/١٣.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/١٥١٠، برقم ١٩٠١.